

سلسلة زاد الواعظ

قل عمسوا

(10)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار المعارف الإسلامية القاهرة

الكتاب: وقل اعملوا - الإصدار العاشر
إعداد: مركز المعارف للتأليف والتحقيق
إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى - 2021م

الفهرس

| | |
|----|--|
| 5 | المقدمة |
| 6 | الموعظة الأولى: اغتمام العمر |
| 12 | الموعظة الثانية: مواساة النبي ﷺ للفقراء |
| 17 | الموعظة الثالثة: الربا |
| 22 | الموعظة الرابعة: الاحتكار |
| 27 | الموعظة الخامسة: الهمّ وعلاجه |
| 31 | الموعظة السادسة: عزّة النفس |
| 35 | الموعظة السابعة: النفاق |
| 39 | الموعظة الثامنة: التوكّل والارتباط بالله |
| 43 | الموعظة التاسعة: القناعة |
| 50 | الموعظة العاشرة: العمل والبطالة |
| 56 | الموعظة الحادية عشرة: الكسل |
| 61 | الموعظة الثانية عشرة: الحسد وآثاره |

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.
قال -تعالى- في كتابه الكريم: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (1).

آيات عديدة، وأحاديث كثيرة وردت عن الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، تؤكد ضرورة أن يعمل المرء في حياته، وأن يغتنم عمره في ما يحبه الله -تعالى- ويرضاه، أيّاً كان نوع هذا العمل، سواء أكان في ما يخص الطاعات والعبادات، أم في ما يتعلق بكسب الرزق والتجارة والعلاقات الاجتماعية العامة، التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأن يقرن العمل بالتوكل على الله - سبحانه- والارتباط به، وأن يكون قانعاً راضياً بما قسمه الله له، ومواسياً لغيره من الفقراء والمساكين، وإن في ذلك كله ضوابط شرعية وأخلاقية لا بد من مراعاتها. جاء هذا الكتاب تحت عنوان: «وقل اعملوا»، ضمن «سلسلة زاد الواعظ»، ليبيّن ضرورة اغتنام العمر وضرورة السعي والعمل وعدم الكسل، مؤكداً أهمية القناعة ولزوم التوكل على الله ومواساة الفقراء، استناداً إلى الآيات القرآنية المباركة والأحاديث الشريفة، على شكل مواضع مبسطة وسهلة، تُسهم -ياذن الله- في إرشاد قلوب المحبّين إلى المبادرة بأعمال الخير والصلاح، ونبت أعمال السوء والفساد.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

(1) سورة التوبة، الآية 105.

الموعظة الأولى

اغتنام العمر

هدف الموعظة

الحث على اغتنام العمر، خصوصاً مرحلة الشباب.

محاورة الموعظة

1. فرصة الشباب
2. يا بكار السنّ، التفتوا

تصدير الموعظة

أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا أَنْتَ عِدَّةُ أَيَّامٍ، فَكُلَّ يَوْمٍ يَمُضِي عَلَيْكَ بِبَعْضِكَ»⁽¹⁾.

(1) الليثي الواسطي، الشيخ كافي الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، إيران - قم، 1418هـ، ط1، ص178.

العمر منحةٌ إلهيةٌ أعطاها الله - سبحانه - للإنسان، وهو رأس ماله في هذه الحياة الدنيا، وسوف يُسأل عنه يوم القيامة.

عن رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع:

1. عن عمره في ما أفناه.
2. وعن شبابه في ما أبلاه.
3. وعن ماله من أين اكتسبه وفي ما أنفقه.
4. وعن حينا أهل البيت»⁽¹⁾.

لذا، كان لزاماً على المرء أن يهتم عمره بالعلم واكتساب الفضائل والعمل الصالح، وبما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وبما فيه نفعٌ له وللمجتمع الذي يعيش فيه.

فرصة الشباب

مرحلة الشباب ليست طويلةً نسبياً قياساً إلى عمر الإنسان ككل، لكنّها تترك آثارها على امتداد حياة الإنسان؛ فهي فرصة للبناء والعمل على الصعد كافة؛ الجسدية والروحية. ومن هنا، على الشاب أن يسعى ليكون من المؤمنين الذين قال عنهم الله - تعالى - في سورة العصر: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾⁽²⁾.

1. التعلُّم

يملك الشاب أرضاً خصبة للتعلُّم وتلقّي المعارف والعلوم الدينية والدنيوية،

(1) المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403 هـ - 1983 م، ط2، ج68، ص180.

(2) سورة العصر.

وتهذيب النفس، فعن أمير المؤمنين عليه السلام موصياً ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل بك»⁽¹⁾.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كان أبي زين العابدين عليه السلام إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم، أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم، أتم ودائع العلم»⁽²⁾.

2. الطاعة والعمل الصالح

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أحب الخلائق إلى الله - عز وجل - شاب حدث السن، في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقاً»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله - عز وجل - مع السفارة الكرام البررة، وكان القرآن حيزاً عنه يوم القيامة»⁽⁴⁾.

يقول الإمام الخامني (دام ظله): «كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،

(1) الرضي، السيد أبو الحسن محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)،

تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، لان، لبنان - بيروت، 1387 هـ - 1967 م، ط1، ص393.

(2) يوسف بن حاتم الشامي المشغري العمالي، الدرر التنظيم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، لات، لا، ط، ص587.

(3) المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير الشيخ بكري حيّاتي - تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1409 هـ - 1989 م، لا، ط، ج15، ص785.

(4) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1363 ش، ط5، ج2، ص603.

خلال فترة شبابه في مكة، عنصراً مضحياً وذكياً، وشاباً نشيطاً ورائداً وسباقاً. كان يرفع العقبات الكبرى عن طريق الرسول في الميادين كافة. في ميادين الخطر، كان يتقدم مضحياً، ويتولى أصعب المهام والأعمال»⁽¹⁾.

3. تهذيب النفس

قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي جعفر الأحول أحد تلامذته -والذي كان يعمل في تبليغ الرسالة وبيان مقام أهل البيت عليهم السلام:- «عليك بالأحداث؛ فإنهم أسرع إلى كل خير»⁽²⁾.

ويوصي الإمام الخميني رحمته الله ابنه السيد أحمد بضرورة إصلاح النفس، خصوصاً في أيام الشباب، وعدم الاعتزاز بمكائد الشيطان، بقوله: «بني، اسع في إصلاح نفسك ما دمت تحظى بنعمة الشباب، فإنك ستخسر كل شيء في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان -ولعلها أخطر مكائده- هي الاستدراج؛ ففي أوائل الشباب يسعى شيطان الباطن -وهو أشد أعداء الشباب- في ثنيه عن إصلاح نفسه، ويمنيه بسعة الوقت، وأن الآن هو أوان التمتع بالشباب، ويستمر في خداعه بالوعود الفارغة ليصده عن فكرة الإصلاح تماماً. وساعةً بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، يتصرم الشباب، ويرى الإنسان نفسه فجأةً في مواجهة الهرم الذي كان يؤمل فيه إصلاح نفسه»⁽³⁾.

(1) الشباب في توجيهات الإمام الخامنيّ (دام ظلّه)، دار الولاية للثقافة والإعلام، على الرابط:

<https://alwelayah.net/post/13196>

(2) الحميريّ القميّ، قرب الإسناد، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1413هـ، ط1، ص28.

(3) الإمام الخمينيّ رحمته الله، السيد روح الله الموسويّ، نفعات ملكوتية، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان - بيروت، 2014م - 1435هـ، ط1، ص148.

يا كبار السنّ، التفتوا

«نفسُ المرء خطاه إلى أجله»⁽¹⁾، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام. لذا، على كبير السنّ أن يكون أحرص من غيره في ما بقي من عمره، بأن يغتنمه بالطاعة والعبادة، وتجهيز الزاد ليوم المعاد، وأن يترك صغائر الأمور، وأن يزهّد في الدنيا، وأن يصبر على ما يصيبه من الأمراض.

وهنا، بعض التوجيهات في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام:

1. اغتنام ما بقي من العمر

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحسن في ما بقي من عمره، لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم! ففاتها لا يعود»⁽³⁾.

2. الاستعداد ليوم المعاد

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ من عرف الأيام، لم يغفل عن الاستعداد. لن ينجو من الموت غنيّ بماله، ولا فقير لإقلاقه»⁽⁴⁾.

3. الحرص على حسن العاقبة

(1) السيّد الرضويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص 480.

(2) الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ، ط 1، ص 56.

(3) الشيخ محمد الريشهريّ، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، لام، لات، ط 1، ج 3، ص 2114.

(4) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 68، ص 263.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فيا لها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤدّيه أيامه إلى الشقوة!»⁽¹⁾.

4. الاستعداد لتحمل أنواع البلاء

عن الإمام الجواد عليه السلام: «من أحبّ البقاء، فليعدّ للبلاء قلباً صبوراً»⁽²⁾.
 ف «طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله، فحسّن منقلبه؛ إذ رضي عنه ربّه، وويل لمن طال عمره، وساء عمله، فساء منقلبه؛ إذ سخط عليه ربّه»⁽³⁾، كما عن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) السيّد الرضيّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص 95.

(2) الإريليّ، الشيخ عليّ بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1405 هـ - 1985 م، ط 2، ج 2، ص 348.

(3) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 113.

الموعظة الثانية

مواساة النبي ﷺ للفقراء

هدف الموعظة

حثّ الناس على التأسّي برسول الله ﷺ في معاملة الفقراء.

محاوار الموعظة

1. مواساة النبي ﷺ للفقراء
2. الفقر فخري
3. النبي ﷺ مع الفقراء

تصدير الموعظة

رسول الله ﷺ: «اللهمّ أحيني مسكيناً، وتوفّي مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين»⁽¹⁾.

(1) المتقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج6، ص489.

عاش رسول الله ﷺ حياةً يواسي بها الفقراء، فكان «يأتي عليه الشهران والثلاثة، فلا توقد في بيته ناراً لمصباح، وتوفي ودرعه مرهونة، ما ترك صفراء ولا بيضاء»⁽¹⁾، ولقد كان ﷺ يقسم في اليوم الواحد ثلاثمئة ألف وأربعمئة ألف، ويأتيه السائل بالعشي، فيقول: والذي بعث محمداً بالحق، ما أمسى في آل محمد صاعاً من شعير ولا صاعاً من بر ولا درهم ولا دينار»⁽²⁾. وكان ﷺ «يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الخمار العاري ويردف خلفه... لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه»⁽³⁾.

مواسة النبي ﷺ للفقراء

هذه الحياة البسيطة لم تكن لتمتع رسول الله ﷺ من كثرة الإنفاق ومساعدة الفقراء؛ إذ إنه ﷺ كان:

1. لا يرد سائلاً

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ كان لا يسأله أحدٌ من الدنيا شيئاً إلا أعطاه»⁽⁴⁾. وقد جاءه ﷺ رجلٌ فسأله أن يعطيه، فقال له ﷺ: «ما عندي شيء، ولكن ابع عليّ - أي اشتر ما تحتاج إليه ويكون ثمنه عليّ - فإذا جاءني شيء قضيت»⁽⁵⁾.

(1) كفاية عن الدينار (الذهب) والدرهم (الفضة).

(2) المقرئ، إمتاع الأسماع، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النمسي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1420 هـ - 1999 م، ط1، ج4، ص223.

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، مصدر سابق، الخطبة 160.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص55.

(5) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، مجدى السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع -

2. يؤاكل المساكين ويناولهم بيده

كان النبي ﷺ «يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويناولهم بيده»⁽¹⁾.

3. ينفق كل ما لديه

«كان ﷺ أسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وجأه الليل، لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه، فيؤثر منه، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتته شيء»⁽²⁾.

4. يقضي حوائج المحتاجين

يذكر أمير المؤمنين عليه السلام في صفة رسول الله ﷺ: «ومن سأله حاجة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول»⁽³⁾.

5. يطلب إبلاغه الحاجة

كان ﷺ يهتم بمعرفة حاجات الناس حتى يقضيها لهم إن استطاع، فقد أثر

القاهرة، لات، لا ط، ص 118.

(1) ابن شهر آشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، 1376 هـ - 1956 م، لا ط، ج 1، ص 146.

(2) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، سنن النبي ﷺ (مع ملحقات)، تحقيق وإحراق الشيخ محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1419 هـ، لا ط، ص 113.

(3) البروجردي، السيد حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، لان، إيران - قم، 1399 هـ، لا ط، ج 13، ص 504.

عنه ﷺ قوله: «أبلغوني حاجةَ مَنْ لا يقدرُ على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ مَنْ لا يقدرُ على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة»⁽¹⁾.

6. يعين خادمه

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب أنه ﷺ كان «يطحن مع الخادم إذا أعبى»⁽²⁾؛ أي يعينه إذا تعب.

7. يحذّر من إهانة الفقير

لقد كان النبي ﷺ لا يحتقر مسكيناً لفقره⁽³⁾، وكان يحذّر من ذلك، فقد جاء عنه ﷺ قوله: «مَنْ استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حرّقه لفقره أو قلة ذات يده، شهّره الله -تعالى- يوم القيامة، ثم يفضحه»⁽⁴⁾.

8. يحثّ على إكرام الفقير

رؤي عنه ﷺ: «مَنْ أكرم فقيراً مسلماً، لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ»⁽⁵⁾.

الفقر فخري

لقد رفع رسول الله ﷺ شعار مواساة الفقراء وتشجيعهم معنوياً، حين رفع ﷺ الفخر شعاراً له؛ بقوله: «الفقر نفري، وبه أفخر»⁽⁶⁾.

(1) العلامة الطباطبائي، سنن النبي ﷺ، مصدر سابق، ص 103.

(2) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 1، مصدر سابق، ص 126.

(3) العلامة الطباطبائي، سنن النبي ﷺ، مصدر سابق، ص 114.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 72، ص 44.

(5) المصدر نفسه، ج 69، ص 55.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 69، ص 30.

النبي ﷺ مع الفقراء

جاء في سبب نزول قوله -تعالى-: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (1)، أن مجموعة من أشراف قريش ومن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله، إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وروائح صنانهم (كانت عليهم جباب الصوف) جلسنا نحن إليك، وأخذنا عنك؛ لأنه لا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء.

لقد كان هؤلاء الأشراف والمؤلفة قلوبهم يقصدون في كلامهم المستضعفين والفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أمثال سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وصهيب، وعمار بن ياسر، وخباب وغيرهم ممن كان على شاكلتهم؛ إذ كان هؤلاء ممن التفت حول رسول الله ﷺ، وممن قربهم رسول الله ﷺ إليه. لذلك اشترط الأشراف على رسول الله ﷺ أن يطرد أمثال هؤلاء الفقراء عن مجلسه ونعتوهم بشتى النعوت.

وهنا نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ ﴾. فلما نزلت الآية، قام النبي ﷺ يلتمسهم، فأصابعهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله -عز وجل-، فقال ﷺ: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي. معكم المحيا ومعكم الممات» (2).

(1) سورة الكهف، الآية 28.

(2) انظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لان، لام، لات، لاط، ج9، ص256.

الموعظة الثالثة

الربا

هدف الموعظة

بيان خطورة الربا، وعظم مفسده وأثاره على الفرد والمجتمع.

محاورة الموعظة

1. حرمة الربا
2. آكل الربا
3. مال الربا
4. حكمة تحريم الربا
5. من أضرار الربا

تصدير الموعظة

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁽¹⁾.

⁽¹⁾ سورة البقرة، الآية 276.

نهى الله - سبحانه -، في كتابه العزيز، عن أكل الربا، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1)، وقال: ﴿وَاحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (2). وحرمة الربا من ضروريات الدين؛ بمعنى أنّ حرمة من الأمور الواضحة عند المسلمين، لا شكّ فيها. ومع ذلك، فقد تعرّض الله - تعالى - في كتابه العزيز، مضافاً إلى حرمة، إلى آثار التعامل به، وأنّه ليس من موارد نماء المال، كما يظنّ الإنسان، بل إنه محموق عند الله؛ وما ذلك إلاّ لخطورة هذه المسألة من الناحيتين الفرديّة والاجتماعيّة.

حرمة الربا

1. أخبثُ المكاسب، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «أخبثُ المكاسب، كسب الربا» (3).
 2. شرُّ الكسب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرُّ الكسب، كسب الربا» (4).
- بل ثمة تشديد عظيم على حرمة هذه العمليّة، وحرمة المال منها، وإن كان درهماً واحداً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «درهم ربا أعظم عند الله من ثلاثين زنية، كلّها بذات محرم مثل خالة وعمّة» (5).

أكل الربا

1. شُعبة من الجنون، يقول - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

(1) سورة آل عمران، الآية 130.

(2) سورة البقرة، الآية 275.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 147.

(4) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 395.

(5) المصدر نفسه، ص 153.

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَلِغُ مِثْلُ الرِّبَا ﴿١﴾.

في شرح هذه الآية، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي رحمته الله: «الآية تشبه المرابي بالمصروع أو المجنون الذي لا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه عند السير، فيتخبط في خطواته.

ولعل المقصود هو وصف طريقة «سير المرابين الاجتماعي» في الدنيا، على اعتبار أنهم أشبه بالمجانين في أعمالهم، فهم يفتقرون إلى التفكير الاجتماعي السليم، بل إنهم لا يشخصون حتى منافعهم الخاصة، وأن مشاعر المواساة والعواطف الإنسانية وأمثالها لا مفهوم لها في عقولهم؛ إذ إن عبادة المال تسيطر على عقولهم إلى درجة أنها تعميهم عن إدراك ما ستؤدي إليه أعمالهم الجشعة الاستغلالية من غرس روح الحقد في قلوب الطبقات المحرومة الكادحة، وما سيعقب ذلك من ثورات وانفجارات اجتماعية تُعرض أساس الملكية للخطر، وفي مثل هذا المجتمع سينعدم الأمن والاستقرار، وستصادر الراحة من جميع الناس بمن فيهم هذا المرابي؛ لذلك فإنه يجني على نفسه أيضاً بعمله الجنوني هذا» (2).

2. ملعونٌ على لسان الله، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله - عز وجل - لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه» (3).

3. بطونهم كالبيوت فيها الحيات، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُتيت ليلة أُسري بي على قومٍ بطونهم كالبيوت فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء آكلةُ الربا».

(1) سورة البقرة، الآية 275.

(2) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج2، ص338.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص395.

4. ملأ الله بطنه ناراً، فعن النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الرِّبَا مَلَأَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لا يقبل الله -تعالى- منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده منه قيراطاً»⁽¹⁾.

مآل الربا

1. يحق الله الربا

«الحق من لوازم الربا لا ينفك عنه، كما أن الإرباء من لوازم الصدقة لا ينفك عنها. فالربا محقوق وإن سمي ربا، والصدقة رابية، وإن لم تُسم ربا»⁽²⁾، يقول -تعالى-: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁽³⁾.

2. يحق الله دينه

قيل للإمام الصادق عليه السلام: قد نرى الرجل يُربي وماله يكثر، فقال: «يحق الله دينه، وإن كان ماله يكثر»⁽⁴⁾.

حكمة تحريم الربا

1. فساد الأموال، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنما نهى الله -عزَّ وجلَّ- عنه لما فيه من فساد الأموال؛ لأنَّ الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين، كان ثمن الدرهم درهماً وثمان الآخر باطلاً... فَحَفَظَ اللهُ -تبارك وتعالى- على العباد الربا لعلَّ فساد

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تقديم السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، 1368 ش، ط2، ج2، ص336.

(2) الطباطبائي، العلامة السيّد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1417 هـ، ط5، ج2، ص421.

(3) سورة البقرة، الآية 276.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص117.

الأموال»⁽¹⁾.

2. لثلاً يذهب المعروف، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إِذَا حَرَّمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الرِّبَا لثَلًا يَذْهَبُ الْمَعْرُوفُ»⁽²⁾.

من أضرار الربا

1. يُخَلِّ بالتوازن الاقتصادي

يُخَلِّ الرِّبَا بالتوازن الاقتصادي في المجتمع، ويؤدِّي إلى تراكم الثروة لدى فئة قليلة، ويوسع الهوة بين الدول الغنيَّة والدول الفقيرة.

2. يغرس روح الحقد والضعيفة

يُضَعِّفُ الرِّبَا العلاقات العاطفية، ويغرس روح الحقد في القلوب؛ لأنَّه يقوم على أساس أنَّ المرابي لا ينظر إلَّا إلى أرباحه، ولا يهتمُّ الضرر الذي يصيب المدين.

3. ارتكاب الجرائم

يرضخ دافع الربا لدفع المال الزائد نتيجة حاجة قد ألجأته إلى ذلك، ولكنه لن ينسى ظلم المرابي له أبداً. إنَّه يرى بعينه كيف أنَّ حاصل تعبه وثمر حياته يدخل إلى جيب هذا المرابي، في مثل هذه الحالة قد تُرتكب عشرات الجرائم المرعبة؛ فقد يقدم المدين على الانتحار، وقد تدفعه حالته اليائسة إلى أن يقتل المرابي شرَّ قتلة⁽³⁾.

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، تقديم السيّد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريَّة، العراق - النجف الأشرف، 1385 هـ - 1966 م، لا.ط، ج2، ص483.

(2) الحرّ العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام، إيران - قم، 1414 هـ، ط2، ج20، ص120.

(3) راجع: الشيخ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج2، ص349-350.

الموعظة الرابعة الاحتكار

هدف الموعظة

تعرف مفهوم الاحتكار وخطره على المجتمع، ومبغوضية المُتَكِرِّ في الاسلام.

محاورة الموعظة

1. مفهوم الاحتكار
2. ذمّ المُتَكِرِّ
3. الحكم الشرعي للاحتكار
4. مكافحة الاحتكار
5. عدم قبول صدقة المُتَكِرِّ
6. التسامح في البيع والشراء

تصدير الموعظة

رسول الله ﷺ: «بئس العبد المُتَكِرِّ! إن أرخصَ الله -تعالى- الأسعار حزن، وإن أغلاها الله فرح»⁽¹⁾.

(1) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج1، ص666.

مفهوم الاحتكار

إذا كان الاحتكار على هذه الدرجة من القبح، وكان المُحتَكِر على هذه الدرجة من الاستصغار، فخريّ بنا أن نتبيّن مفهوم الاحتكار كي نتجنّب، فلا نقع في فخاخ آثاره السلبية على الفرد والمجتمع. عرّف الاحتكار بأنه: إمساك ما يحتاجه الناس وحبسه، رجاء أن يرتفع سعره، ويجني الأرباح المضاعفة⁽¹⁾.

بملاحظة التعريف، تبين النقاط الآتية:

1. أن الاحتكار نوع من حبس للسلع وتخزينها.
2. أن الاحتكار حبس السلع التي يحتاجها الناس.
3. أن حبس الأمور الكميّة لا يكون احتكاراً.

ذمّ المحتكر

إنّ الاحتكار من الأعمال التي ورد ذمّها في الشريعة الإسلامية بشكل صريح وواضح، فعن رسول الله ﷺ: «المُحتَكِرُ محروم نعمته»⁽²⁾، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الاحتكار شيمة الفجار»⁽³⁾.

(1) محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، دار الفضيّة، لانت، لاط، ص76، 117.

(2) الليثيّ الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص26.

(3) المصدر نفسه، ص23.

الحكم الشرعي للاحتكار

اتفق الفقهاء أنّ الاحتكار محرّم (1) على تفصيل بينهم في حدوده بلحاظ السلعة المحتكرة، وقد روي عن رسول الله ﷺ: «المحتكر في سوقنا كالمُحد في كتاب الله» (2)، وروي عنه ﷺ أيضاً: «المحتكر ملعون» (3). وهذه الروايات إذ جعلت المحتكر ملعوناً، ونزّلته منزلة المُحد في كتاب الله، فهي تدلّ على الحرمة المشدّدة.

مكافحة الاحتكار

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر حين وّلاه مصر، قال: «فامنع الاحتكار؛ فإنّ رسول الله ﷺ نهى عنه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين مع البائع والمُباع، فمن قارف حكرة بعد نهيك، فنكّل به، وعاقب في غير إسراف؛ فإنّ رسول الله فعل ذلك» (4). هذه الرواية تشير بشكل صريح إلى ضرورة عقاب المحتكر من قبل الوليّ تأسيساً برسول الله ﷺ ليكون عبرة لمن اعتبر، وهذا الإجراء هو من تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تحمي البيئة الاجتماعية، وتحافظ على التوازن الاقتصادي.

(1) راجع: الإمام الخميني رحمه الله، السيّد روح الله الموسويّ، تحرير الوسيلة، دار الكتب العلميّة، العراق - النجف، 1390 هـ.ق، ط2، ج1، ص501.

(2) الشيخ الريشهريّ، ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج1، ص666.

(3) الطوسيّ، الشيخ محمد بن الحسن، الاستبصار، تحقيق وتعليق السيّد حسن الموسوي الخراساني، دار الكتب الإسلاميّة - طهران، 1363 ش، ط4، ج3، ص114.

(4) السيّد الرضيّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص438.

عدم قبول صدقة المحتكر

رُوي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ اشْتَرَى طَعَامًا، فَخَبَسَهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يُرِيدُ بِهِ غَلَاءَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ بَاعَهُ، فَتَصَدَّقَ بِمُنْه، لَمْ يَكُنْ كَفَّارَةً لِمَا صَنَعَ»⁽¹⁾. هذه الرواية هي تطبيق للقاعدة القرآنية ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، فكيف للمحتكر الذي أضرب بالناس حابساً عنهم ما يمسّ بحاجاتهم من طعام ودواء أن يتقرب إلى الله متصدقاً بما كسبت يده؟!

التسامح في البيع والشراء

في قبال الاحتكار والتضييق على المسلمين، حثّ الإسلام على التسامح والتساهل في البيع والشراء، فعن رسول الله ﷺ: «غَفَرَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِرَجُلٍ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى، سَهْلًا إِذَا قَضَى، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى»⁽³⁾، وعن أمير المؤمنين عليه السلام -لرجل يوصيه، ومعه سلعة يبيعهها-: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: السّماح وجه من الرّباح»⁽⁴⁾.

وهذا الأمر مصداق لقاعدة التراحم بين المؤمنين، عن الإمام الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في

(1) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1414هـ، ط1، ص289.

(2) سورة المائدة، الآية27.

(3) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج1، ص327.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1414هـ، ط2، ج3، ص196.

التواصل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (1)، (2).

(1) سورة الفتح، الآية 29.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 175.

الموعظة الخامسة

الهمّ وعلاجه

هدف الموعظة

تعرف ما يرفع الهمّ في الآيات والروايات.

محاورة الموعظة

1. الهمّ والغمّ
2. حزن القلب
3. علاج الهمّ

تصدير الموعظة

﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الأنبياء، الآية 87.

الهمم والغمّ

يقول اللّغويون: (الهمّ) هو الحزن⁽¹⁾. و(الغمّ) هو الكرب⁽²⁾. والمراد بهما ضيق النفس والأثر الحادث في القلب من مواجهة المصائب والبلاءات. قال -تعالى- مخاطباً نبيّه موسى ﷺ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾⁽³⁾.

حزن القلب

في وصيّة النبيّ الأكرم ﷺ لأبي ذرّ الغفاريّ: «إِنَّ اللَّهَ -تبارك وتعالى- لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»⁽⁴⁾. وعن الإمام الباقر ﷺ موصياً تلميذه جابر الجعفيّ: «وَأَسْتَجِبْ نُورَ الْقَلْبِ بِدَوَامِ الْحُزْنِ»⁽⁵⁾.

إنّ الحزن الممدوح هو الحزن على ضياع العمر باللّهو، والحزن على ارتكاب المعاصي وفوات الآخرة، والحزن على فراق ساحات المحبوب -جلّ وعلا-، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁽⁶⁾، وقد فسّر الفرح بالبطر، وهو لازم

(1) راجع: الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم

للبلدين، لبنان - بيروت، 1407هـ - 1987م، ط4، ج2، ص278.

(2) راجع: الزبيديّ، تاج العروس، تحقيق عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -

بيروت، 1414هـ - 1994م، لا.ط، ج17، ص522.

(3) سورة طه، الآية 40.

(4) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، مصدر سابق، ص536.

(5) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج75، ص164.

(6) سورة القصص الآية 76.

الفرح والسرور المفرط بمتاع الدنيا؛ فإنه لا يخلو من تعلق شديد بها، يُنسي الآخرة ويورث البطر والأشر.

وإنما يفرح المؤمنون بفضل الله وبرحمته ونعمه وإحسانه، قال -تعالى-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (1).

علاج الهمة

1. الالتجاء إلى الله، قال -تعالى- على لسان نبيه يونس، وهو في الظلمات: ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَمِ وَكَذَلِكَ نُسَجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (2).

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك عن سواك، فكشفته وفرجته، فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل رغبة» (3).

2. ذكر الله، قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (4).

أ. الاستغفار، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكثر الاستغفار، جعل الله له من

(1) سورة يونس، الآية 58.

(2) سورة الأنبياء، الآيتان 87 و88.

(3) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من

العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403 هـ - 1983 م، ط4، ج4، ص231.

(4) سورة الرعد، الآية 28.

كل همّ فرجاً، ومن كلّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»⁽¹⁾.
 ب. الحوقلة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «يا سفيان، إذا حزتك أمر من سلطان أو غيره، فأكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة»⁽²⁾.

ج. التهليل، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... وعجبت لمن اغتمّ كيف لا يفرع إلى قوله -تعالى-: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فأني سمعتُ الله -عزّ وجلّ- يقول بعقبها: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُسَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾»⁽³⁾.

3. التمسك بكتاب الله، قال -تعالى-: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾⁽⁴⁾.

4. الاهتمام بالنظافة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «غسل الثياب يذهب بالهمّ والحزن، وهو طهور للصلاة»⁽⁵⁾.

5. تكوين الأسرة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سعادة المرء المسلم: الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الهنيء، والولد الصالح»⁽⁶⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص172.

(2) المصدر نفسه، ج75، ص201.

(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص55.

(4) سورة الإسراء، الآية 82.

(5) الطبرسي، الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، منشورات

الشريف الرضي، إيران - قم، 1392 هـ - 1972 م، ط6، ص103.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج73، ص155.

الموعظة السادسة

عزّة النفس

هدف الموعظة

بيان معنى العزّة وموجباتها للفرد والمجتمع.

محاورة الموعظة

1. مفهوم العزّة
2. موجبات العزّة
3. عزّة المجتمع

تصدير الموعظة

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة فاطر، الآية 10.

مفهوم العزّة

العزّة حالة مانعةٌ لصاحبها من أن يُغلب.
قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَكْرِمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَأَقْتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاظَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا، وَلَا تَكُنَّ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»⁽¹⁾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلَّهَا، وَلَمْ يَفُوضْ إِلَيْهِ أَنْ يَذَلَّ نَفْسَهُ»⁽²⁾.

موجبات العزّة

1. طاعة الله، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ، فَاطْلُبْهَا بِالطَّاعَةِ»⁽³⁾.
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا نَقَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَبْدًا مِنْ ذَلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ التَّقْوَى، إِلَّا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ، وَأَنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ»⁽⁴⁾.
2. كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ»⁽⁵⁾.

(1) السيّد الرضويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ج3، ص51.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص63.

(3) اللبيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص134.

(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص76.

(5) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج72، ص52.

3. حفظ اللسان، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «احفظ لسانك، تُعزَّ»⁽¹⁾.
- و عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وعزَّه [أي المؤمن] ترك القال والقييل»⁽²⁾.
4. الحلم والعفو، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عفا عن مظلمة، أبدله الله عزّاً في الدنيا والآخرة»⁽³⁾.
5. القبول بالحق، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «العزّ أن تذلّ للحقّ إذا لزمك»⁽⁴⁾.

عزة المجتمع

1. الجهاد، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فرض الله -تعالى-... الجهاد عزّاً للإسلام»⁽⁵⁾.
- و عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله -في حديث-: فمن ترك الجهاد ألبسه الله -عزّ وجلّ- ذلّاً وقرراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله -عزّ وجلّ- أغنى أمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»⁽⁶⁾.
2. طاعة الولي، قال -تعالى-: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾⁽⁷⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص400.

(2) المصدر نفسه، ج68، ص178.

(3) الشيخ الطوسي، الأمالي، مصدر سابق، ص182.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج75، ص228.

(5) الشيخ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1423 هـ - 2002 م، ط1، ج2، ص405.

(6) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص2.

(7) سورة الأنفال، الآية 46.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «طاعة ولاة الأمر تمام العز»⁽¹⁾.
 ونحن في لبنان اخترنا هذين العنوانين، فأطعنا وليّ الأمر في بداية الاحتلال
 حينما حدّد تكليفنا بجهاد العدو الإسرائيليّ الغاصب، فنلنا العزّة والكرامة، ورأينا
 سلوك غيرنا في تولّي أعداء الله من الكافرين وما لحق بهم من ذلّ ومهانة ونهب،
 فعلنا معنى قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَيْبَتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾⁽²⁾.

(1) الشيخ الريشهريّ، ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج3، ص1958.

(2) سورة النساء، الآية 139.

الموعظة السابعة

النفاق

هدف الموعظة

إظهار أنواع النفاق وعاقبته، والفارق بينه وبين المداراة.

محاوير الموعظة

1. النفاق العملي والقولي
2. عاقبة النفاق
3. المداراة
4. المداهنة

تصدير الموعظة

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (1).

(1) سورة النساء، الآية 142.

النفاق العملي والقولي

النفاق هو أن يظهر الإنسان غير ما يبطن من الاعتقاد والأخلاق، فيتظاهر بالإيمان واتباع الفضيلة والأخلاق الحسنة. والنفاق قسمان، عملي وقولي. عن الإمام الصادق عليه السلام: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين، جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»⁽¹⁾.

النفاق العملي: هو لقاء المسلمين بوجهين، بأن يبدي المرء ظاهر حاله وصورته الخارجية لهم على خلاف ما تكون في باطنه وسريته، كأن يبدي أنه من أهل المودة والمحبة لهم، وأنه مخلص حميم، بينما يكون في الباطن على خلاف ذلك، فيتعامل بالصدق والمحبة في حضورهم ولا يكون كذلك في غيابهم. أما النفاق القولي: فهو ذو اللسانين، بأن يثني على كل من يلقي من المسلمين ويمتدحه ويمتلق له، لكنه في غيابه يعمد إلى تكذيبه واستغابته.

عاقبة النفاق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه، يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده، ثمّ يُقال: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين، يُعرف بذلك يوم القيامة»⁽²⁾.

ويكون مشمولاً بالآية الشريفة: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص343.

(2) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص38.

فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١﴾.

المداراة

المداراة مراعاة الناس وتحمّلهم والتعامل معهم بلين ولطف، وحقيقة المداراة لم يرخذ في مفهومها إخفاء شيء وإظهار ما يتراءى أنه خلاف واقع الشخص؛ لأنّ الذي يداري يدور أمره بين أن يعتمد اللطف واللين أو العنف والقسوة بنحو يؤذي الآخرين. فهي ترتبط بالجانب السلوكي، ولا تحكي عن إيمانٍ مخالفٍ للظاهر. والمداراة ليست من نقص الإيمان، كما في النفاق، بل هي إكمال للإيمان، وعدمها نقص، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلُق يداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل»⁽²⁾.

قال الله -تعالى- مخاطباً رسوله الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾⁽³⁾.

المداهنة

من النفاق المداهنة، وهي إظهار الرضا بعمل الفاسق من غير إنكار عليه. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «شرُّ إخوانك من داهنك في نفسك وساترك عيبك»⁽⁴⁾. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أوحى الله -عزّ وجلّ- إلى شعيب عليه السلام: إني مُعَذِّبٌ من قومك مئة ألف؛ أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا

(1) سورة الرعد، الآية 25.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 26، ص 116.

(3) سورة آل عمران، الآية 159.

(4) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 294.

ربّ، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟! فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي»⁽¹⁾.

التملّق

وما يشترك مع المداهنة في السوء التملّق، الذي عرّفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «الثناء بأكثر من الاستحقاق، ملق»⁽²⁾، وعنه عليه السلام: «ليس من أخلاق المؤمن التملّق»⁽³⁾.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص56.

(2) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص177.

(3) السيّد البروجرديّ، جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق، ج13، ص553.

الموعظة الثامنة

التوكل والارتباط بالله

هدف الموعظة

تعرف الأبعاد الإيمانية للتوكل، ومدى انعكاس ذلك على السلوك الإنساني، وتعزيز العلاقة المطلقة بالله.

محاوالموعظة

1. التوكل على الله
2. التوكل والعمل بالأسباب
3. الاعتصام بالله
4. من آثار التوكل

تصدير الموعظة

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الطلاق، الآية 3.

التوكل على الله

التوكل على الله هو انقطاع العبد في جميع ما يأمله من المخلوقين، والاعتماد على الله -تعالى- في جميع الأمور، وتفويضها إليه، والإعراض عما سواه. وباعثه قوة القلب واليقين، وعدمه من ضعفهما أو ضعف القلب، وتأثره بالخوف والأوهام. وهو من دلائل الإيمان، وسماة المؤمنين ومزاياهم الرفيعة، الباعثة على عزّة نفوسهم، وترفعهم عن استعفاف المخلوقين.

سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فقال عليه السلام: «التوكل على الله درجات، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها»⁽¹⁾.

التوكل والعمل بالأسباب

ليس معنى التوكل إغفال الأسباب والوسائل الباعثة على تحقيق المنافع، ودرء المضارّ، وأن يقف المرء إزاء الأحداث والأزمات مكتوف اليدين. إنّما التوكل هو الثّقة بالله -عزّ وجلّ-، والركون إليه، والتوكل عليه دون غيره من سائر الخلق والأسباب، باعتبار أنّه -تعالى- مصدر الخير، ومسبّب الأسباب، وأنّه وحده المصّرّف لأموال العباد، والقادر على إنجاز غاياتهم ومآربهم. فالاعتماد التام على الأسباب والوسائل وحدها، يعد نوع من الشرك الناتج عن

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص65.

ضعف الإيمان، والثقة بالله -تعالى-، ولا ينافي ذلك سعي الإنسان، والاستفادة من الأسباب الطبيعية، والوسائل الظاهرية لتحقيق أهدافه ومصالحه كالتزوّد للسفر، والعمل للكسب والربح والعيش والتوسعة على العيال. وقد أبى الله -عزّ وجلّ- أن تجري الأمور إلّا بأسبابها، فلا بدّ من الأخذ بأسباب الحياة والالتزام بقوانينها، ثمّ تتوكّل على الله -تعالى-.

قال -تعالى-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (1).

وروي أنّ أعرابياً أهمل عقلَ بعيره، متوكّلاً على الله في حفظه، فقال رسول الله ﷺ له: «اعقل وتوكل» (2).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدع طلب الرزق من حلّه؛ فإنّه عون لك على دينك، واعقل راحلتك وتوكل» (3).

الاعتصام بالله

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أوحى الله -عزّ وجلّ- إلى داوود عليه السلام: ما اعتصم بي عبدٌ من عبادي دون أحدٍ من خلقي، عرفتُ ذلك من نيتته، ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ، إلّا جعلتُ له المخرجَ من بينهنّ، وما اعتصم عبدٌ من عبادي

(1) سورة الأنفال، الآية 60.

(2) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تقديم السيّد المرعشي النجفي، تحقيق الحاجّ آقا مجتبي العراقي، لان، لا.م، 1403 هـ - 1983 م، ط1، ج1، ص75.

(3) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن العمان، الأمالي، تحقيق حسين الأستاذ وليّ، عليّ أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414 - 1993 م، ط2، ص173.

بأحدٍ من خلقي، عرفتُ ذلك من نيتِهِ، إلّا قطعْتُ أسبابَ السماواتِ والأرضِ من يديه، وأسختُ الأرضَ من تحته، ولم أبالِ بأيِّ وادٍ هلك»⁽¹⁾.

من آثار التوكّل

1. التقوى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: من أحبّ أن يكون أتقى الناس، فليتوكّل على الله»⁽²⁾.
2. قوّة القلب، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أصل قوّة القلب، التوكّل على الله»⁽³⁾.
3. الغنى والعزّ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الغنى والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا»⁽⁴⁾.
4. الأمن من الزلل والخطأ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من توكّل على الله، أضاءت له الشبهات، وكُفي المؤنات، وأمن التبعات»⁽⁵⁾.
5. النصر، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «من توكّل على الله لا يُغلب، ومن اعتصم بالله لا يُهزم»⁽⁶⁾.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص63.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص381.

(3) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص120.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص65.

(5) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص463.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج68، ص151.

الموعظة التاسعة

القناعة

هدف الموعظة

تكريس مبدأ القناعة في الحياة الإنسانية.

محاوالموعظة

1. مفهوم القناعة
2. فضل القناعة
3. الفقر والغنى في الرؤية الإسلامية

تصدير الموعظة

الإمام الصادق عليه السلام: «من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله -عزّ وجلّ- اتهم الله -تعالى- في قضائه»⁽¹⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 202.

مفهوم القناعة

القناعة هي تحرّر الإنسان من عبوديّة المادّة، والاكتفاء من المال والأموال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام في ما زاد عن ذلك، وهي صفة كريمة، تُعرب عن عزّة النفس، وشرف الوجدان، وكرم الأخلاق.

فضل القناعة

للقناعة فضائل ومحاسن كثيرة، تكلمت عليها الروايات والأحاديث، نذكر منها:

1. أغنى الناس

إنّ حقيقة الغنى هي عدم الحاجة إلى الناس، والاقتناع والاكتفاء برزق الله، عن الإمام الباقر عليه السلام: «من قنع بما رزقه الله، فهو من أغنى الناس»⁽¹⁾.
كتب المنصور العباسي إلى الإمام الصادق عليه السلام: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهتك، ولا تراها نعمة فنعزيزك بها، فما نصنع عندك؟!»، فكتب إليه: تصحبنا لتصحنا، فأجابه: «من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك»⁽²⁾.

2. رضا الله منه بالقليل من العمل

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من رضي من الله باليسير من المعاش، رضي الله منه

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص139.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج47، ص185.

بالسير من العمل»⁽¹⁾.

3. العون على صلاح النفس

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أعون شيء على صلاح النفس القناعة»⁽²⁾.

4. يُكْتَبُ مِنَ الصِّدِّيقِينَ

إنَّ الله لا يقضي لعبده المؤمن إلا بما فيه خيره وصلاحه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال الله -عزَّ وجلَّ-: عبدي المؤمن، لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له؛ فليرضَ بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه -يا محمد- من الصِّدِّيقِينَ عندي»⁽³⁾.

الفقر والغنى في الرؤية الإسلامية

1. موقف الإسلام من الفقر

حدّد الإسلام أسلوباً تربوياً ربيعاً في التعامل النفسي والاجتماعي مع قضية الفقر، يمكن إيجازه بما يأتي:

أ. أن لا يطمح المرء إلى من هو فوقه ممّن رزقه الله المال والثروة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم؛ فإنه أجدر أن تزدروا نعمة الله»⁽⁴⁾.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص138.

(2) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص112.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص61.

(4) النيسابوري، الشيخ محمد بن الفتال، روضة الواعظين، تقديم السيّد محمد مهدي السيّد حسن انخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، لا، ت، لا، ط، ص454.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إيّاك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله - عزّ وجلّ - لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ﴾ (1)، وقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (2)، فإن دخلك من ذلك شيء، فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجد» (3).

ب. الفقر ليس منقصةً، وليس الغنى مقربةً من الله، قال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ (4)، بل إنّ الفقر قد يكون مظهر الرحمة الإلهية لعبده المؤمن، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أحب الله عبداً في الدنيا يوجعه» قالوا: يا رسول الله، وكيف يوجعه؟ قال: «في موضع الطعام الرخيص والخير الكثير، وليّ الله لا يجد طعاماً يملأ بطنه» (5) وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «أبواب الجنة مفتحة على الفقراء» (6).

ج. عدم الطمع بما في أيدي الناس؛ فإنّ الطمع منقصةٌ للإنسان ومُخرِجٌ له عن حدّ الإيمان، فقد سأل بعضهم الإمام الصادق عليه السلام: ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: «الورع»، والذي يخرج منه؟ قال: «الطمع» (7)، وعن الإمام

(1) سورة التوبة، الآية 85.

(2) سورة طه، الآية 131.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 137.

(4) سورة سبأ، الآية 37.

(5) النيسابوري، روضة الواعظين، مصدر سابق، ص 454.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 69، ص 46.

(7) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 320.

السَّجَّاد عليه السلام: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»⁽¹⁾.
 د. الفقر قد يكون من عوامل التقرب إلى الله؛ فالإنسان يلجأ إلى الله -عز وجل- وبشدة تعلقه به في الأزمات والملمات، إذ لا كاشف للضر والسوء إلا هو، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾⁽²⁾، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾⁽³⁾.

2. موقف الإسلام من الغنى

إنَّ الموقف الإسلامي من الغنى، ليس الذم والمنع، بل هو موقف تأييد ومدح، بشرط أن الالتزام بأهداف الشريعة الإسلامية وضوابطها وغاياتها، وذلك من خلال:

1. عدم اكتساب المال من الطرق المحرمة والمنهي عنها، كالربا وبيع الأعيان النجسة... والتدقيق في شرعية السبل والموارد التي يقصدها الإنسان لجني المال.
 2. عدم صرف الأموال وإنفاقها في الوجهة المحرمة، كإعانة الظالمين وإنشاء مراكز الفساد واللهو...
 3. إخراج الحقوق الشرعية منها، من خمسٍ وزكاة...
 4. الإنفاق في وجوه الخير والصلاح، كالصدقة والإعانة والتكافل، وهي من الأمور المستحبة التي حثت الروايات عليها بشكل كبير.
- أمَّا ما ورد في ذم الغنى من الروايات، فهو ناظر إلى الحالة الغالبة لذوي الثروات

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 320.

(2) سورة يونس، الآية 12.

(3) سورة الروم، الآية 32.

في الابتعاد عن الشريعة وأهدافها وضوابطها، والتي تظهر في:
 أ. الطغيان والتجبر، قال -تعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَىٰ ﴿٦٢﴾﴾⁽¹⁾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من استدلَّ مؤمناً واستحقره لقلة ذات يده ولفقره، شَهَرَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ»⁽²⁾.

ب. خلود النفس إلى شهوات الدنيا وملذاتها؛ لذا كان الدم والوعيد لهؤلاء في قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾⁽³⁾.

من طريف ما أثير عن القناعة

ورد في كشكول البهائي: أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر -رحمه الله-، وقال له: إن قبل هذا فأنت حر، فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر، وألح عليه في قبوله، فلم يقبل، فقال له: اقبله، فإن فيه عتقي، فقال: نعم، ولكن فيه رقي⁽⁴⁾.

وكان ديوجانس الكلبي من أساطين حكماء اليونان، وكان متقشفاً، زاهداً، لا يقنى

(1) سورة العلق، الآيتان 6 و7.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص353.

(3) سورة التوبة، الآيتان 34 و35.

(4) القمي، الشيخ عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، دار الأسوة، إيران - قم، 1414هـ، ط1، ج3، ص198.

شيئاً، ولا يأوي إلى منزل، دعاه الإسكندر إلى مجلسه، فقال للرسول: قل له: إنّ الذي منعك من المسير إلينا، هو الذي منعنا من المسير إليك؛ منعك استغناؤك عنا بسلطانك، ومنعني استغنائي عنك بقناعتي⁽¹⁾.

(1) الشيخ عباس القمّي، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، مصدر سابق، ج7، ص375.

الموعظة العاشرة

العمل والبطالة

هدف الموعظة

بيان قيمة العمل في الإسلام ومساوئ البطالة، والحث على الكسب الحلال.

محاوار الموعظة

1. العمل والعامل في الإسلام
2. التحذير من البطالة
3. إيّاك والكسب الحرام
4. عاقبة أكل الحرام

تصدير الموعظة

قيل للإمام الصادق عليه السلام: رجلٌ قال: لأقعدنّ في بيتي، ولأصلنّ، ولأصومنّ، ولأعبدنّ ربّي، فأما رزقي فسيأتيني، فقال الإمام عليه السلام: «هذا أحد الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم»⁽¹⁾.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص77.

العمل والعامل في الإسلام

للعمل والعامل أهمية خاصة في الشريعة الإسلامية، فقد ندب الإسلام إلى طلب الرزق بالعمل، وجعل له أجراً كبيراً، وربط به كرامة الإنسان وشأنه عند الله، بل حتى عقله.

عن أبي عمرو الشيباني: رأيتُ أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحاً، وعليه إزارٌ غليظٌ يعمل في حائطٍ له، والعرقُ يتصبَّبُ عن ظهره، فقلتُ: جُعِلْتُ فداك! أعطني أكفك، فقال عليه السلام لي: «إني أحبُّ أن يتأذى الرجلُ بِمِحْرِ الشَّمْسِ في طَلَبِ المعيشة»⁽¹⁾.

ومَّا ورد في ضرورة العمل وأهميته ومنافعه في الدنيا والآخر، ما يأتي:

1. العمل أفضل العبادة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال»⁽²⁾.

2. العمل جهاد، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «الكادُّ على عياله كالجاهد في سبيل الله»⁽³⁾، بل قد يزيد على أجر المجاهد، كما عن الإمام الرضا عليه السلام: «الذي يطلب من فضل الله -عزَّ وجلَّ- ما يكفِّ به عياله، أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله!»⁽⁴⁾.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص86.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص9.

(3) الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن، الوافي، تحقيق ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، إيران - أصفهان، 1406هـ، ط1، ج17، ص97.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص88.

3. في العمل عون على الرزق والمعيشة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالجد والاجتهاد، وإذا صليتَ الصبح فانصرفتم، فبكرُوا في طلب الرزق واطلبوا الحلال؛ فَإِنَّ اللَّهَ سِيرزِقكم ويعينكم عليه»⁽¹⁾.

4. في العمل حفظ النفس وإكرامها، عن الإمام الصادق عليه السلام لمولى له: «يا عبدَ الله، احفظ عِرْكَ». قال: وما عِرِّي؟ جُعِلْتُ فداك! قال عليه السلام: «غُدُوكَ إِلَى سُوْقِكَ، وإِكْرَامَكَ نَفْسَكَ»⁽²⁾.

وروي عن زرارة: أَنَّ رجلاً أتى الإمامَ الصادقَ عليه السلام، فقال له: إِنِّي لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي، ولا أحسن أن أتجر، وأنا محارفٌ⁽³⁾ محتاجٌ! فقال له الإمام عليه السلام: «اعْمَلْ، فَاحْمِلْ عَلَى رَأْسِكَ، وَاسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَمَلَ حِجْرًا عَلَى عُنُقِهِ، فَوَضَعَهُ فِي حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِهِ...»⁽⁴⁾.

5. وجه العامل يوم القيامة كالبدر، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفاً عن الناس وسعيًا على أهله وتعطفًا على جاره، لقي الله -عز وجل- يوم القيامة، ووجهه مثل القمر ليلة البدر»⁽⁵⁾.

6. يد العامل لا تمسها النار، جاء في التاريخ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما عاد إلى المدينة بعد غزوة تبوك، استقبله أحد الصحابة، فصاحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ سأله: «ما هذا الذي

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 79.

(2) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 17، ص 13.

(3) المحارف: المحروم.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 76.

(5) المصدر نفسه، ج 5، ص 78.

أرى بيدك؟»، قال: من أثر المرء⁽¹⁾ والمسحاة، أضرب وأنفق على عيالي، فقبل ﷺ يده! وقال: «هذه يدٌ لا تمسها النار»⁽²⁾.

التحذير من البطالة

في قبال الحثّ على العمل والجدّ والاجتهاد، يرى الإسلام أنّ البطالة عاملٌ أساس من عوامل الفساد والانحراف؛ لما لها من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، كالإدمان على المخدّرات...

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن يكن الشغل مجهدة، فاتّصال الفراغ مفسدة»⁽³⁾.
وروى ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا نظر إلى الرجل فأعجبه، قال: «هل له حرفة؟» فإن قالوا: لا، قال: «سقط من عيني»، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟! قال: «لأنّ المؤمن إذا لم يكن له حرفة، يعيش بدينه»⁽⁴⁾.

وقد حذّر الأئمة عليهم السلام شيعتهم من ترك الكسب والعمل، فعن عليّ بن عبد العزيز أنّ الإمام الصادق عليه السلام سأله: «ما فعل عمر بن مسلم؟»، فأجابته: «جُعِلْتُ فداك! أقبل على العبادة، وترك التجارة. فتألّم الإمام عليه السلام وأزعجه ذلك! واندفع يقول:

(1) أداة تُستخدم في حفر الأرض.

(2) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1417 - 1997م، ط1، ج7، ص354.

(3) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414هـ - 1993م، ط2، ج1، ص298.

(4) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص9.

«ويحه! أما علم أنّ تارك الطلب لا تُستجاب له دعوة؟!»⁽¹⁾.

وسأل العلاء بن كامل الإمام الصادق عليه السلام أن يدعو له الله في أن يرزقه في دعة⁽²⁾، ويوسع عليه، فقال له الإمام عليه السلام: «لا أدعوك، اطلب كما أمرك الله»⁽³⁾.

وهذا إن دلّ على شيء، إنّما يدلّ على مبعوضة البطالة والعاطل عن العمل عند الله.

إيائك والكسب الحرام

نهى القرآن الكريم عن اتباع الطرق غير المشروعة في الكسب نهياً شديداً، كأكل المال بالباطل والربا والفساد... قال -تعالى-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾⁽⁴⁾.

أمّا الأحاديث والروايات، فإنّها عدّت هذه الطرق من الكبائر، بل شبّهت بعضه، مثل: الاحتكار، والخيانة، والربا، بأقبح الذنوب، كالقتل؛ لأنّ هذه الأعمال تشلّ النشاط الاقتصادي للإنسان، وتسوقه إلى الهلاك التدريجيّ.

يقول الإمام الرضا عليه السلام في كلامٍ يذكر فيه ما حرّم الله -تعالى-: «واجتنابُ الكبائر، وهي قتلُ النفسِ التي حرّمَ اللهُ -تعالى-، وأكلُ الربّا بعدَ البيّنة، والبخسُ في المكيالِ

(1) الحرّ العامليّ، الشيخ محمد بن الحسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام، تحقيق ونشر مجمع البحوث الإسلاميّة، إيران - مشهد، 1412هـ، ط1، ج6، ص13.

(2) أي في راحة.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص78.

(4) سورة النساء، الآية 29.

والميزان، والإسراف، والتبذير، والخيانة»⁽¹⁾.

عاقبة أكل الحرام

1. تضييع الأعمال وعدم قبولها، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ حَرَامًا، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا»⁽²⁾.
2. يمنع استجابة الدعاء، فعن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ، فَلْيُطِيبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ»⁽³⁾.
3. يوجب لعنة الملائكة، فعن رسول الله ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ اللَّقْمَةُ مِنْ حَرَامٍ فِي جَوْفِ الْعَبْدِ، لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»⁽⁴⁾.
4. الكفر والضلال، وإن خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لعسكر عمر بن سعد، خير دليل على هذه الحقيقة، إذ قال عليه السلام: «فَقَدْ مُلِئْتُ بِطُونِكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَيَكُمُ الْآ تَنْصُوتُونَ؟! أَلَا تَسْمَعُونَ?!»⁽⁵⁾.

(1) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، منشورات الأعلي، إيران - طهران، لات، لاط، ج 2، ص 125.

(2) ابن فهد الحلبي، عدة الداعي ونجاح الساعي، تصحيح أحمد الموحد القمي، مكتبة وجداني، إيران - قم، لات، لاط، ص 140.

(3) المصدر نفسه، ص 128.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 63، ص 314.

(5) المصدر نفسه، ج 45، ص 8.

الموعظة الحادية عشرة

الكسل

هدف الموعظة

بيان أضرار الكسل وعاقبته، والحثّ على علوّ الهمة والعمل.

محاوّر الموعظة

1. الكسل مضرّ بالدين والدنيا
2. عاقبة الكسل
3. الهمة

تصدير الموعظة

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة التوبة، الآية 38.

الكسل هو التغافل عمّا لا ينبغي التغافل عنه؛ ولذلك عدّ مذمومًا، وضده النشاط.

قال -سبحانه- في ذمّه: ﴿إِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (1). والذمّ في الآية الكريمة واقع على الكفر والنفاق، فإنّ الكفر والنفاق موجبان للكسل، والإيمان والإخلاص باعثان على التحرك والنشاط.

الكسل مضرّ بالدين والدنيا

عن الإمام الباقر (عليه السلام): «الكسل يضرّ بالدين والدنيا» (2). لا يتوهم أنّ العمل في سبيل تحصيل المعاش هو طلب للدنيا، وأنه مناف للدين، ففي الحديث عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (3).

فالعمل في سبيل المعاش أمر ضروري، والإسلام يبغض من يكون كلاً على غيره، يُلقى على غيره مسؤولية إعالته، عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه» (4).

عاقبة الكسل

1. تضييع الحقوق، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إياك وخصمتين: الضجر

(1) سورة النساء، الآية 142.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 180.

(3) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 1، ص 76.

(4) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج 3، ص 156.

- والكسل! فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤدِّ حقاً»⁽¹⁾.
2. التقصير في طاعة الله، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والكسل! فإنه من كسل لم يؤدِّ حقَّ الله -عزَّ وجلَّ-»⁽²⁾.
3. الفقر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الأشياءَ لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز، فنتج بينهما الفقر»⁽³⁾.
4. خسران الدنيا والآخرة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والكسل والضجر! فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة»⁽⁴⁾، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إني لأبغض الرجل أن يكون كسلان عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»⁽⁵⁾.
5. مبغوضية الله، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يبغض العبدَ النوامِ الفارغ»⁽⁶⁾.

الهمة

في قبال الكسل، حثت الروايات على ضرورة السعي والكد والهمة. والهمة العزم الجازم المتأكد في تحصيل الإنسان ما ينبغي أن يحصله من تعرف الأمور

(1) الطبرسي، الميرزا حسين التوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، 1408 هـ - 1987 م، ط1، ج12، ص65.

(2) المصدر نفسه.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص86.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص85.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص88.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص85.

واختيارها، والنظر في مصادرها ومواردها، وتحديق البصيرة نحو الأمور المعقولة، وإرسال الوهم والخيال وسائر الحواسِّ نحو المعاني والصور المحسوسة المعينة لدرك المقاصد والمطالب، مع التألم والغمِّ والهَمِّ بسبب فقدها⁽¹⁾.

بالهمة يرتقي الإنسان من الحضيض إلى أوج الكمال، ويخرج من الذلَّة إلى العزَّة، كما ورد في الروايات عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ»⁽²⁾، «ولا شرف كِبَعْدِ الهِمَّةِ»⁽³⁾، و«كَمال الرجل بستَّ خصال: بأصغريه وأكبريه وهيئتيه، فأما أصغراه: فقلبه ولسانه، إن قاتل قاتل بجنان، وإن تكلم تكلم بلسان، وأما أكبراه: فعقله وهيمته، وأما هيئته: فماله وجماله»⁽⁴⁾.

وبالهمة يتحقَّق عزُّ اليأس عمَّا في أيدي الناس، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لجابر بن يزيد الجعفي: «اطلب بقاء العزِّ بإماتة الطمع، وادفع ذلَّ الطمع بعزِّ اليأس، واستجلب عزُّ اليأس ببعْدِ الهِمَّةِ»⁽⁵⁾.

(1) المازندراني، المولى محمد صالح بن أحمد، شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعرائي، ضبط وتصحيح السيّد عليّ عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1421 هـ - 2000 م، ط1، ج3، ص270.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص477.

(3) الحرائي، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1404 هـ - 1363 ش، ط2، ص286.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1379 هـ - 1338 ش، لا، ط، ص150.

(5) الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، مصدر سابق، ج12، ص69.

وإنَّ مَنْ لم تعرف الهمة طريقاً إليه، وكان حظُّه الفتور والخمول، فلن يصل إلى معالي الأمور، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي: قصر الهمة، وقلة الحيلة، وضعف الرأي»⁽¹⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 231.

الموعظة الثانية عشرة الحسد وآثاره

هدف الموعظة

تعرف بواعث الحسد وعاقبته والفارق بينه وبين الغبطة.

محاوَر الموعظة

1. بواعث الحسد
2. من أصول الكفر
3. عاقبة الحسد
4. بين الحسد والغبطة

تصدير الموعظة

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ ﴾ (1).

(1) سورة النساء، الآية 54.

الحسد حالة نفسية، يمتد بها الحاسد زوال النعمة التي يتصورها عند الآخرين، ويكره وصول تلك النعمة إليهم، فيصيبه غم إن وصلت.
عن الإمام الصادق عليه السلام: «آفة الدين: الحسد والعجب والفخر»⁽¹⁾.

بواعث الحسد

1. خبث النفس وشحها بالخير، قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وقال -سبحانه- حكاية عن ابني آدم: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾.

2. التكبر والعجب، قال -تعالى- حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾⁽⁴⁾.

من أصول الكفر

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد»⁽⁵⁾.
فالحسد هو حالة تعبر عن الاعتراض على عدالة الله -تعالى-، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله -عز وجل- لموسى بن عمران عليه السلام: يا بن

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص307.

(2) سورة الحشر، الآية 9.

(3) سورة المائدة، الآية 27.

(4) سورة الأعراف، الآية 12.

(5) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص289.

عمران، لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك؛ فإنّ الحاسد ساخط لنعمي صاّد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يكُ كذلك فلست منه وليس مني»⁽¹⁾.

عاقبة الحسد

إنّ حسد الحاسد لا يضرّ المحسود، فلن تزول عنه النعمة لمجرد أنّه يحسده، بل ستنعكس آثاره السيئة على الحاسد في الدنيا والآخرة. عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود، كإبليس، أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع إلى محلّ حقائق العهد والاصطفاء. فكن محسوداً ولا تكن حاسداً؛ فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فإذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يضرّ المحسود الحسد. والحسد أصله من عمى القلب والمجود بفضل الله -تعالى-، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد؛ لأنّه مصرّ عليه، معتقد به مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب، والطبع لا يتغيّر عن الأصل، وإن عولج»⁽²⁾.

بين الحسد والغبطة

الحسد هو ما ذكرناه من تمني زوال النعم المتصورة عند الآخرين، وهو غير الغبطة؛ لأنّ الغبطة هي أن يتمنى الإنسان الحصول على هذه النعم التي رآها عند غيره،

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص307.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج70، ص255.

ولكنه لا يتمنى زوالها عن الآخرين، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»⁽¹⁾.

إنّ مجرد تمني الحصول على النعم لا يعدّ حسداً على الإطلاق، ما لم يتضمّن تمني زوال النعم عن الآخرين. والغبطة ليست مذمومة، بل هي في الواجب واجبة، وفي المنسوب مندوبة وفي المباح مباحة، قال الله - سبحانه -: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ ﴾⁽²⁾.

وعليها يحمل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على ملكه في الحقّ، ورجل آتاه الله علماً، فهو يعمل به ويعلمه الناس»⁽³⁾؛ أي لا غبطة إلا في ذلك، سُميت الغبطة حسداً كما يُسمّى الحسد منافسة، اتّساعاً لمقارنتهما.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص289.

(2) سورة المطففين، الآية 26.

(3) النراقي، الشيخ محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق السيّد محمد كلاتر، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، دار التعمان للطباعة والنشر، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج2، ص151.